ملتقى
الإبداع
العربي
والثقافة الإنسانية

الدوحة

ذو القعدة ١٣٩٧هـ - نوفمبر ١٩٧٧م
مجلة شهرية ثقافية جامعة

سيوه

أحلام العذارى الخضر على بساط أصفر

● الكوميديا الداكنة دراما العصر

ليان عاشور

● صديق الراحل انور المعداوي

كريم عبلان

عبد الكريم علاب

صديقي الراحل
انور المعداوي

في رسالة شاملة الى
النقد وكل طلبة الآداب !

وجهـا لوجه

كان ذلك في يوم من ايام اكتوبر من سنة ١٩٤١ وكنت حديث العهد بالالتحاق بكلية الآداب بجامعة القاهرة لم أتعرف بعد على زملائي الطلبة ، ولا على زميلاتي الطالبات بالطبع • وكان أول زميل اتقدم اليه فيجري بيننا حوار يتناول ـ بلمسات خفيفة ـ نقد دروس الكلية ومعاضراتها هو الصديق الناقد الراحل أنور المعداوي •

فرقت بيننا الايام وطواء الزمان فيمن طوى من الاصدقاء والزملاء والخلان ••• ووجدتني اليوم وجها لوجه مع الزميل الصديق الذي لم انسه ، وان أنستني الاحداث كثيرا ممن اختلفت معهم الى قاعات مشتركة اربع سنوات كاملات ، وجدتني وجها لوجه مع أنور المعداوي وانا اقرأ كتاب الاستاذ رجاء النقاش •• « صفحات مجهولة في الادب العربي المعاصر » •

كان أنور سيكون نموذجا منفردا بين الطلاب لانه كان لامعا يطمح الى الجديد وهو بعد في السنة الاولى من المرحلة الجامعية • ولا يعجبه العجب من محاضرات الاساتذة ودروسهم ، ولو انه لم يكن يستطيع ان يقدم البديل • ويهمل في الحضور ، في الوقت الذي يصر الطلاب على الا تفوتهم كلمة مما ينطق به الاساتذة دون ان يسجلوها ، لا لسبب الا لانه يرفض الحضور • وقد يفضل كرسيا « احرج » في مقهى متواضع في ميدان الجيزة ، وأمامه كاس من شاى وصحيفة او مجلة او كتاب ، على الاختلاف الى هذه المحاضرة او تلك ، وكتابة هذا الدرس او ذاك • ولذلك لم يكن متفوقا في امتحاناته او في الابحاث التي يقدمها ـ الا باسلوبها الرفيع وكلماتها المختارة وخطها الانيق ـ فلم يحصل على درجة الامتياز ـ فيما أذكر ـ ولو انه كان فوق المتوسط دائما ••

ربطت بيني وبين أنور صداقة متينة طيلة مدة الدراسة • كنا نلتقي في المحاضرات وفي ابهاء الكلية وفي المكتبة ، ونقطع المسافة معا بين الجامعة وميدان الجيزة ـ الذي كان بمنازله المتواضعة ودروبه الفقيرة بمثابة الحي الجامعي ـ نتحدث حديثا لا يخلو من تقييم للاوضاع الادبية ومن تحليل لما يصدر من كتب وما تنشره المجلات المصرية آنذاك من شعر ونثر • ولم تكن أحاديث أنور تخلو من روح النقد ، الذي يكتسي طابع المرارة في كثير من الاحيان ، لما يقرأ من انتاج وما يسمع من محاضرات • ولم تكن تفارقه روح السخرية بهذا الاستاذ أو ذاك ، وان كان يحتفظ بما يكن لهم من تقدير وحب •

يهاجم ولا يؤذي

لم تكن منازلنا المتواضعة تسمح بالاستقبال او الاجتماع للدراسة او المناقشة ، ولذلك كان المقهى الذي يتصدر ميدان الجيزة آنذاك ، والذي يعقل بالطلبة والاساتذة والعاطلين والحمالين ، ولاعبي النرد ، كان هذا المقهى المتواضع ، الذي يقدم لزبنائه القهوة والشاى المعتق في سواده ، بمثابة المنتدى يجتمع فيه بعض الطلبة والاساتذة من سكان الجيزة • وكنا نلتقي ، الدكتور عبد القادر القط ـ مساء الله بالخير ـ وأنور وكاتب هذه السطور ، وينضم الينا أحيانا صديقا العمر الشاعر عبد المجيد بن جلون والمرحوم الشاعر عبد الكريم بن ثابت ـ وهما من المجموعة المغربية التي كانت تزهر بها كلية الآداب ـ وحسب المنتدى أن تتصدره هذه المجموعة ليكون الادب والشعر موضوع المناقشة والجدل الهادىء احيانا الفاتر في كثير من الاحيان •

هناك جوانب انسانية كانت تعجب الى أنور المعداوي وتجعلني أحس بالمتعة في الحديث اليه • فقد كان يتعاطف مع أصدقائه ويرفع الكلفة معهم ، وكان اسلوبه

كنا نجتمع في مقهى يقدم لزبائنه القهوة والشاى المغتق في سواده!

وقف على خشبة مسرح الكلية ومثل دور الكونت بجدارة!

الحكم على الأدب العربى القديم كله بالضحالة يعتبر مجازفة!

فى الحديث ، كأسلوبه فى الكتابة ، رشيقا جميلا جذابا، ينتقد احيانا ولا يجرح ، يهاجم احيانا ولا يؤذى . كان مرتبطا بوطنه مصر ويقريته « محلية مهدى » ، وكان يتوقف احيانا ، وانا احدثه عن المغرب ، ليقول فى استغراب :

ـ لا اعجب لشىء قدر عجبى انك تركت بلدك وقدمت الى مصر ... ليس بينى وبين « البلد » الا نحو ساعتين او ثلاث ، ومع ذلك ارحل عنها فى نهاية الصيف كما لو كنت راحلا الى المريخ ، وبى شوق دائم لان اعود . احسب الشهور والاسابيع والايام التى تفصلنى عن البلد.

وحينما يعرف كم عدد السنوات التى قضيتها خارج بلادى بعيدا عن اهلى وعائلتى يصرخ :

ـ ياه ... يا اخى قلبك قاس ...

وتقمره ضحكة عارمة وانا احدثه عن الطفل الذى ما يزال يرتبط بمامه وينتظر منها ان ترضعه والا مات جوعا ...

لم نكن نلتقى فى الصيف . ولعله لم يكن ينتظر نتيجة الامتحانات ، بل كان يسرع الى القرية ليندمج فى الحياة التى الفها وليتزود بحبه الذى كان حبه الاول والاخر ، حب والدته واخوته وقريته ، ويعود اخر الصيف شخصا اخر مليئا حيوية ونشاطا وعافية .

وحيدا فى القرية

فلما كان انور يتحدث مع زملاء الكلية والمقهى عن المحاضرات والدروس ، ولكنه كان يتحدث عما انتجته المطبعة ، وعن الاقلام الجديدة التى يتعرف اليها من خلال هذا الانتاج . ولم يكن انذاك ينتج ، ولكنه كان يطمح لان ينتج . ولذلك لم يكن يقرأ لكاتب ظهر على الساحة الادبية الا حدث نفسه بانه قادر على ان يتفوق عليه .

وما زلت اذكر ونحن نتحدث عن نجيب محفوظ ، وكان بيده « زقاق المدق » يقرأه . كان نجيب حديث عهد بالسوق الادبية ، وكان انور ، فيما بدا لى ، يشعر بروعة الزقاق . ولكنه مع ذلك كان فى حاجة الى ان يعبر عن قدرته على التفوق :

ـ سترى يا عبد الكريم ...

وضرب على غلاف الكتاب وكانه يؤكد ما يريد ان يقول :

ـ ... سترى الرواية التى ساكتبها ؟...

ولم يكتب لانور ان يكتب الرواية التى وعد نفسه بها ، فقد شغله النقد ، وشغلته ازمات الحياة عن ان يفرغ لانجاز وعده .

كان انور ، وهو طالب ، يحاول ان يعبر بالفن ويهيىء نفسه ليكون فنانا . فوجئت مرة ، وهو يضحك من خلال الاختناق الانفى الذى كان يلازمه :

ـ لا تنتظرونى اليوم فى المقهى . فسامارس التجربة « البروفة » ...

ضحكت عيناه وهو يتتبع علامات الاستغراب على وجهى :

ـ بروفة ؟ اى تجربة تعنى ؟

الا تعرف انى اصبحت ممثلا مقتدرا ...؟ سأشارك فى تقديم المسرحية التى ستقدمها لجنة المسرح فى الكلية ...

ـ وستمثل ؟

ـ ولم لا ...؟ دورا لا يصلح له غيرى .

وحضرنا المسرحية ، وكان انور على المسرح بقامته

صديقي الراحل انور المعداوي

● كانت رسائل المعداوي غنية بالمعلومات والتحليلات والنصوص الشعرية والنثرية!

الفارعة يمثل دور « الكونت » في المسرحية التي نسيت عنوانها وموضوعها ·

ذكريات حافلة بالبواعث التي حملت انور المعداوي وهو طالب الى ساحة النقد الادبي حتى احتل فيها الصدارة ، ولم يمر غير وقت وجيز على تخرجه من كلية الآداب ·

لم التق بانور بعد ان فارقت القاهرة ، فقد انغمرت في العمل السياسي والصحفي وخضت مع بلادي معركه الاستقلال ، وكان المغرب في مرحلة لا تسمح لنه بالاتصال · وكان اول ما فعلته ، عند اول زيارة لي للقاهرة بعد استقلال بلادي ، أني بحثت عن انور فلم اجد من يدلني عليه · ولعله انذاك كان قد دخل مرحله المحنة ، فكان في القرية يجتر الوحدة والالام وغصة الجحود ·

تتبعت بعض ما كتبه انور في النقد عن طريق مجلتي الرسالة والآداب باعجاب ·

وصمت فعزوت ذلك ـ وانا بعيد عن مصر وعن صحفها ـ الى ان الصحافة قد استغرقته بعد ان احتجبت الرسالة ·

رسائل المعداوي

وكانت فاجعتنا جميعا حين فاجانا موته ، وليس في ذهني عن الصديق الذي غاب الا رجولته وحيويته وقوة شخصيته وضحكته العارمة ·

وتبقى من الصديق الذي مات ذكريات طيبة في نفوس كل أصدقائه ·

ويبقى من الاديب الذي مات المرحلة الادبية التي مثلها خير تمثيل بما انتج وما ابدع وما وجه من حركة النقد في مصر والعالم العربي ·

وكان كتاب رجاء النقاش احياء لذكريات الصديق الذي غاب ، وبعثا وتسجيلا لمرحلة مهمة في تاريخ الادب العربي الحديث ·

يذل رجاء في كتابه جهد الباحث الغير الذي تلمس طريق البحث عن حركة النقد الادبي في فترة مهمة ، تلمس طريقه انطلاقا من رسائل انور المعداوي الى الشاعرة الادبية فدوى طوقان · واذا كانت هذه الرسائل تسجل مرحلة عاطفية بين اديبين لما في سماء الشعر والنقد ، بما اكتنف هذه المرحلة من هدوء وجدة ، فانها تتيح الفرصة لكثير من النظرات النقدية التي كان المعداوي يلمح بها دون ان يعمق التفكير فيها لان الرسائل العابرة لم تكن تسمح بغير ذلك ·

وقد اتاحت رسائل المعداوي لرجاء النقاش ان يسبر غور حياة الناقد اللامع سواء في جانبها الشخصي أو جانبها الادبي ، واستعان في ذلك بما يعرفه شخصيا عن المعداوي ، وبما يعرفه اصدقاؤهما من الذين جمعتهم الندوات الادبية التي كان يتصدرها المعداوي في مكتبه بوزارة الثقافة أو في منزله أو في المقاهي التي كان يرتادها مع ثلة من أصدقائه وتلاميذه · ومن ثم حفل الكتاب بمعلومات فريدة عن مسيرة الحركة الثقافية في مصر خلال نهاية الاربعينات والفترة الاولى من الخمسينات ·

كانت رسائل المعداوي منطلقا لتعليقات غنية بالمعلومات والتحليلات والنصوص الشعرية والنثرية التي ترسم صورة واضحة ثرية عن المرحلة · واهمية هذه الرسائل تاتي من ان كثيرا من مؤرخي الحياة الادبية يغفلونها ، لانها ـ فيما يبدو لهم ـ متصلة بالحياة الشخصية لهذا الاديب او ذاك ولهذه الشاعرة او تلك · ولكنها في الواقع صورة حية للحركة الثقافية في مصر ، وما قد يتصل بها من جوانب الحركة الادبية في بعض البلاد العربية ·

ويبدو من الكتاب ان النقاش تحمل الكثير وهو يبحث عن النصوص التي اشارت اليها رسائل المعداوي ، ثم وهو يبحث عن خلفيات الاحداث الادبية والنظرات النقدية التي اشارت اليها الرسائل · غير ان المؤلف تجاوز حدود البحث الى كثير من الاستنتاجات ، وخاصة في الحياة الشخصية للمعداوي ، حتى « اتهمه » بالعجز الجنسي ، وعزا كل الفشل الذي اصابه في حياته الشخصية ـ والادبية ـ الى هذا العامل الذي لم يكن له عليه من دليل الا حب الكشف عن « اسرار » ما نظن البحث العلمي يساعد على ذلك ·

واذا كان المعداوي قد انتقل الى رحمة الله ، وانتقلت

لم يكن انور المعداوى يعجبه العجب من محاضرات الاساتذة ودروسهم!

ابراهيم ناجى

عباس محمود العقاد

نجيب محفوظ

معه أسراره الشخصية فما يضره فى شىء ان يقال عنه ما « اكتشفه » رجاء من « أسرار » حياته ، فان الوفاء لذكرى اديب شقر بادبه كان يمتع من هذا « الاكتشاف » الغريب ...

قضايا هامة

ويثير الكتاب قضية نقدية مهمة عالجها النقاد القدماء والمحدثون وهى مشكلة النفاذ الى أعماق النفس الانسانية او مشكلة التقليد والتجديد على العموم . فبينما يذهب المعداوى الى « ان الشعر العربى القديم كان فى جملته شعر السطوح الخارجية للنفس والحياة ، وان الشاعر القديم لم يكن يغلو لنفسه الا فى النادر القليل، وقد كان مشغولا عنها بأغراض الحياة ومطالب العيش ومظاهر الغلبة على الاقران والتشوق الى الوقوف ببساب السلطان » يذهب رجاء النقاش محاذيا له فى تحفظ فيقول :

ان مدرسة التقليد فى الشعر العربى كبيرة وممتدة على مساحة كبيرة من تاريخنا الادبى . أما مدرسة الاصالة والاستقلال الفنى والوجدانى والفكرى فهى تحتل مساحة أدبية اقل ، ولكنها مدرسة موجودة بوضوح فى الادب العربى القديم « وهما يختلفان ـ مثلا ـ فى نظرتها الى المتنبى . يقول عنه المعداوى فى تجن : هذا المتنبى ولو انه فى رأيى شاعر مصنوع يشبه الفتاة « البلدى » التى تكثر من استعمال المساحيق حتى ليبدو جمالها وهو جمال « التواليت » هذا المتنبى ولو انه كذلك ، الا أن له احيانا فلتات شعرية تستحق الاعجاب . ويقول عنه رجاء فى انصاف : « والمتنبى بالذات هو واحد من هؤلاء الشعراء الكبار الذين ارتفعت بهم موهبتهم وتجربتهم وشخصيتهم المستقلة التى رفضت التقاليد الفنية الجامدة وارتفعت عليها ».

وفى رايى ان موضوعا خطيرا كهذا قد عالجه المعداوى والنقاش فى كثير من التسرع : المعداوى لانه كان يكتب رسالة الى صديقة لا بحثا نقديا ـ ومع ذلك فهو حكم جدير بألا يصدر عن ناقد تمرس على عدم اصدار الاحكام المتسرعة . والنقاش لانه كان يعلق على رسالة ، واذا أتاح التعليق اشارة متسرعة فهو لا يتيح بحثا معمقا . ولذلك فالحكم على الادب العربى القديم كله بالضحالة او بان اكثره ضحل ، لا يخلو من مجازفة ينكرها قراءة قصيدة أو جزء من قصيدة لشاعر من هؤلاء الفحول الذين طفح بهم تاريخ الادب العربى الطويل ، ابتداء من امرىء القيس وزهير بن ابى سلمى حتى ابى تمام والبحترى والمتنبى والمعرى وابن الرومى والشريف الرضى . ليس المهم هو عنوان القصيدة المادحة او الهاجية او الرثائية ، ولكن المهم هو المضامين التى تحملها القصيدة ، وهى مضامين فى اغلبها انسانية ونفسية يتوفر فيها بسخاء « الاداء النفسى » الذى فتن به المعداوى .

الاختلاف حول العقاد

مزية الادب العربى على الآداب العالمية الاخرى انه امتد على مساحة كبيرة من الزمان يناهز خمسة عشر قرنا بنفس اللغة ونفس الاسلوب ونفس الاصول الفنية . واذا كان هذا الادب قد تخلف فنيا فى كثير من مراحله فلم يتح له التعبير عن خالجات النفس الانسانية واعماقها ، فلا يمكن ان ينطبق ذلك على الادب العربى كله وفى مختلف مراحله الطويلة . وليس ذنب الادب العربى أنه تعثر فى بعض مراحل مسيرته ، ولكنه ذنب الحياة العربية جميعها . والادب صورة لهذه الحياة جاد حينما جادت الحياة وسقم حينما سقمت .

أما عن المتنبى فيمكن أن يعتبر من اعظم شعراء الانسانية بالنسبة لعصره وتاريخ الشعر الانسانى ، واصدار حكم عليه بهذا التسرع لا يغفره الا أن صاحب الحكم كان يكتب رسالة متسرعة فى احدى مقاهى القاهرة .

والامر لا يختلف عنه فى الحكم الذى اصدره المعداوى ورجاء النقاش معا على شعر العقاد . فقد تجنى

• رغم الحكم المتسرع فالمتنبي هو أعظم شعراء الانسانية بالنسبة لعصره !

صديق الوادي
استيوا المعداوي

عدي خرفان

نازك الملائكة

كلاهما على شاعر من أكبر شعراء العربية المعدلين الذي ناضل ـ كمبدع وناقد ـ ليخرج بالشعر من نطاق الاحاسيس الفريدة والرومانتية القاتمة الى نطاق التعبير عن الاحاسيس السليمة للنفس الانسانية بلغة تليق بسمو المعاني التي تنبثق عن هذه الاحاسيس ، لغة ترتفع عن نطاق التقليد الذي جرف الشعر العربي في عصور التخلف الى مستوى التعبير الدقيق عن الاحساس السليم .

واذا صح ان يختلف ناقدان في المقام الذي يحتله العقاد بين شعراء العربية المعدلين ، فلا يصح ان ينزل ناقد كالمعداوي بذوق العقاد الشعري الى درجة ان يوصي صديقه « ابراهيم ناجي » بان « ينظم » ثلاثة افكار في ثلاث قصائد يضعها في بداية ديوان يقدمه لمسابقة مجمع اللغة العربية ، وهو كفيل بان يفوز بالجائزة الاولى لان العقاد هو الحكم في هذه الجائزة ، وسيمنحها اذا ما قرأ الافكار « منظومة » في بداية الديوان دون ان يطل شعور الشاعر برأسه من خلال هذه القصائد . ولا يصح أن ينزل ناقد كرجاء النقاش بشعر العقاد الى حد القول : « ان قصائد العقاد في غالبيتها العظمى هي افكار منظومة » .

افكار للمناقشة

ومن الغريب ان يأخذ رجاء النقاش على انور المعداوي تعامله على نازك الملائكة واختياره لبيتين ضعيفين من شعرها كدليل على ضعف شعرها ، ثم يسلك هو نفس السلوك فيختار قطعة « منظومة ـ حقا » من شعر العقاد ، ثم يؤكد : أن « هذا هو شعر العقاد في معظمه ، فهو شعر العقل الجاف والافكار المنظومة ، وليس شعر القلب الحار والتجارب الانسانية الواسعة » .

اغلب الظن ان النقاش كالمعداوي يصدران في حكمهما على شعر العقاد تحت تاثير المرحلة الرومانسية في الشعر العربي الحديث ، مرحلة علي محمود طه وابراهيم ناجي وانور المعداوي ، ولو عاد النقاش فقرأ قصائد من « ديوان العقاد » ودواوينه الاخرى ، ولو قرأ فقط قصيدته عن « الموسيقى » لما سمح لنفسه ـ فيما اعتقد باصدار هذا الحكم الذي جره اليه ـ فيما اعتقد ايضا ـ انسور المعداوي .

والكتاب ، عدا هذا ، مزيج بافكار تدعو للمناقشة ، ونجاح كتاب ما هو بمقدار ما يثير من افكار ، وما تدعو اليه هذه الافكار من مناقشات . واذا كنت لا اطمع في ان أتوب عن القارىء في مناقشة الافكار التي حملها كتاب النقاش ، فقد كنت أمل ان لو منح لنفسه بعض الوقت قبل أن يندفع بالكتاب للمطبعة لمراجعة التكرار الممل الذي وقع في بعض الاخبار والافكار والمعلومات . فقد تكرر بعضها مالا يقل عن عشر مرات . والكاتب قد يقع في هذا التكرار اثناء كتابة فصول مؤلفه على فترات متقاطعة ، ولكن مراجعة الكتاب قبل الطبع كفيلة بابراء ذمته من مثل هذا الخلل غير المقصود .

وبعد : فاذا كان الاستاذ النقاش قد خدم الادب العربي المعاصر بنشر هذه الصفحات المطوية ، فقد اثار في نفوسنا نحن أصدقاء المعداوي وزملائه فيضا من شعور بالاسى لفقدان الناقد الذي لم سريعا وخبا سريعا وكأنه كان يستعجل الحياة فاسرع وقال كلمته ثم ... مات .

رحم الله انورا ، فقد كان يستحق ان يعيش وقد بدأ حياته مليئا بالحيوية والنشاط والامل في المستقبل .

عبد الكريم غلاب